بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كما كُتِبَ عَلَىٰ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتقُونَ . أَيَّاماً مَعدودَاتٍ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

[البقرة : الآيتان ١٨٣ و ١٨٤]

حديثنا هذه المرة عن الصيام فى الإسلام وخصائصه وفضائله ، ففى كل أديان الدنيا صيام ، ولكنه فى بعض الأديان إحياء لذكرى حادث من حوادث تاريخ العقيدة ، كما نجد عند المسيحيين فى صيامهم الكبير الذى يمتد أربعين يوماً من اليوم الذى يقولون إن المسيح صلب فيه إلى عيد الفصح ، وهو عيد حلول بركة الخلاص على النصارى ، ومع ذلك فهو ليس صياماً بالمعنى الصحيح لأنه صيام عن أكل كل ما أصله فيه روح كاللحوم والطيور والبيض واللبن أحياناً ، وكل ماعدا ذلك مباح ، وعند اليهود يوم الصيام الكبير وهو تعذيب لأنه صيام أربع وعشرين ساعة كاملة ، وعند بعض طوائف الهندوس تعذيب للنفس ، فتجد الرجل يصوم أسبوعاً كاملاً يقتصر فيه على الماء ، وهم يقولون إن ذلك تنقية للنفس وتقريب لها من الآلهة ، وبعضهم يسرد الصيام الأسابيع الطويلة ، فتجده نحيلاً هزيلاً لا يكاد يقوم على رجليه .

وهو يسمى ذلك تعبداً ، ولقد زرت معبداً فى أمر يتسار فى الهند خاصاً بطائفة من الهندوس تحرم على أنفسها كل شىء تقريباً ، وكل من رأيته فى معبدهم مهزول تعد أضلاعه بيدك ، وهو من فرط الهزال فى حالة غياب أو عدم تركيز ذهنى .

أما صيام الإسلام فعبادة وتطهير وموعظة ورحمة وتنظيم اجتماعى ، وهو ـ ككل عبادات الإسلام ـ تربية جماعية واجتماعية .

وقبل أن أستطرد فى الكلام أحب أن أنبه مرة أخرى إلى أننى عندما أقارن بين الصيام فى الإسلام والصيام فى الديانات الأخرى لا أريد أن أمس مشاعر أحد من غير المسلمين ، لأننا نحن المسلمين أمرنا بأن ندعو إلى ديننا بالحكمة والموعظة الحسنة ، وليس من الحكمة والموعظة الحسنة أن تمس أديان الناس ، بل عليك أن تعرف الناس بفضائل دينك دون تعال أو مقارنة ، ثم بعد ذلك تدعهم لأنفسهم يتأملون مقالتك ويتدبرون حكمتها ، واذكر دائماً أن الحكمة لا تكمن فى أنك مسلم . بل هى تكمن فى أن تكون مسلماً مؤمناً بحق ، وأن تكون صالحاً نافعاً للناس ، فليس بمسلم حقاً من لم يكن صالحاً نافعاً للناس .

وصيامنا فى الإسلام محبة فى الله وفى جماعة المسلمين ، فإن فيه تلك الرحمة الإلهية التى هى ميزة الإسلام الكبرى ، ورسول الله صلوات الله عليه عندما قال : « إنما أنا رحمة مهداة » ، أراد أن يقول شيئين : الأول أن الله عندما اختاره لحمل رسالة الإسلام وزينه بالفضائل وطهره بالكمالات أصبح شخصه فعلاً رحمة للعالمين ، وقد أحس بذلك المسلمون الذين أراد الله لهم سعادة صحبة رسوله ، فقد كان وجوده بينهم جنة لهم وأمناً ، وماقصده أحدهم فى مشكلة نزلت به إلا أوجد له المخرج وأراحه ، سواء أكان رجلاً أو امرأة ، بدوياً جلفاً أو حضرياً مهذباً ، وفى موقعة أحد طارت عقول المسلمين عندما نادى منادى الكفار بأن

رسول الله قد قتل ، فلما عرفوا أنه معافى بخير قرت قلوبهم فى أمكنتها وعادوا إلى المعركة ودحروا غيظ الكافرين فانصرفوا من المعركة التى حسبوا أنهم كسبوها . انصرفوا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا المعنى بأبلغ بيان فى قوله فى سورة الأنبياء ﴿ **وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين** ﴾.

[الأنبياء ٢١/ ١٠٧].

وصيام الإسلام بصورته التى وردت فى القرآن الكريم صورة من صور رحمته تعالى بالمؤمنين ، فهو خير للمؤمنين كافة ، فالمسلم الغنى الذى يجد نفسه فى وفرة من الطعام طول العام ، فيسرف على نفسه فى الإفطار والغداء ، ويقيم الولائم أو يحضرها فى العشاء ، ويتخم معدته بالطعام ، يجد فى شهر الصيام علاجاً أى علاج إذا هو عرف معنى الصيام وقام بحقه ، فنحن فى الحقيقة نصوم لنصح ، وقد كان لنا صديق موسر نيف على التسعين ، وكان إلى يوم وفاته نشيطاً يقظاً دائم الحركة ، وكان يقول : مانفعنى إلا الصيام ، فأنا أصوم الشهر المفروض ويومى الاثنين والخميس كل أسبوع ، وسحورى شىء خفيف أتناوله قبل نومى فى العاشرة والنصف ليلاً ، وأتحرى فى إفطارى سنة رسولنا الأكرم : شىء من تمر وفاكهة أو سلطة خضراوات ، ثم أصلى المغرب ، وقرابة الثامنة ليلاً آكل وجبتى الوحيدة ، ثم أتمشى قليلاً وأختم يومى بقراءة من القرآن .

وأما أوساط الناس أصحاب العيال فتلك فرصتهم لتصحيح صحة أولادهم ، فلا إسراف فى سحور أو إفطار ، وهناك التزام بالقدر الضرورى من الطعام فتهبط نفقة البيت والعيال إلى النصف ، وأما الفقير المجهد فى طلب رزقه فيجد نفسه فى هذا الشهر أقرب إلى ربه ، فإذا كانت قلة الطعام محنة طول العام فهى قربة إلى الله فى رمضان ، فتأمل هذا وانظر ماذا نفعل نحن فى شهر الصيام ! لقد جعلناه شهر الطعام وأسرفنا على أنفسنا فيه ، والمسئولون عنا يعينون الناس

على الإساءة إلى أنفسهم فى شهر الصيام ، فهم يضاعفون لهم كميات الطعام استثلافاً لقلوبهم فيما يقولون ، وهذا خطأ جسيم ، وقد لاحظت أن معظم أهل الأسواق عندنا من صغار الباعة والحرفيين لا يصومون ، ومادخل بيتى عامل لإصلاح شىء فى رمضان إلا وجدته مفطراً ، هذا مع سوء الخلق وبذىء الكلام ولا أدرى من أين أصابتهم هذه الطامة ، وكتبت أكثر من مرة موجهاً نظر الشيوخ والأئمة إلى هذه الظاهرة ، ثم أقصرت لأننى وجدت أن هؤلاء الناس نادراً ما يتصرفون عن فكر ، إنما هى محفوظات لديهم ، فما يقولونه فى رمضان هذا العام هو نفس ما قالوه فى الذى قبله والذى قبله ، وهو نفس الذى سيقولونه فى رمضان من العام المقبل .

ولو تنبه أولئك الإخوة لوجدوا إلى جانب مايقولونه تقليداً مذاهب من القول ذات سعة فى فضائل الصيام الجماعية والاجتماعية والحضارية ، فنحن لا نصوم فى نفس الشهر فحسب ، بل نمسك عن الطعام فى نفس الساعة ونفطر فى نفس الدقيقة ، وهذا تنظيم جميل وإشعار بوحدة الأمة عظيم . وصيامنا لا يقتصر على الامتناع عن الطعام فى ساعات الصوم بل هو صيام أدب وتهذيب ، فمن مضيعات ثواب الصيام سوء القول وسرعة الغضب وإيذاء الناس واغتيابهم ، وهذا كله تهذيب وتأديب ، ثم إن الله سبحانه استحب منا كثرة الصدقة والجود بالمال والطعام على إخواننا من المعانين من قلة الرزق ، لا على سبيل التفضل أو الإحسان بل قربة إلى الله ، فنحن فى هذا كله نحسن إلى أنفسنا قبل أن نحسن إلى غيرنا .

وقد كانت لنا فى هذا الشهر الفضيل مذاهب جميلة وفضائل حسنة لا ندرى كيف وأين ذهبت ، فأين المطعمون المحسنون ، وأين الكرماء الأتقياء ؟ وأين أولئك الذين كانوا يمدون الموائد للفقراء ساعة الإفطار ؟ إننى أذكر أننى كنت أقرأ فى دار الكتب فى باب الخلق إلى الرابعة بعد الظهر فى رمضان وأعود إلى

بيتى فى شارع جنينة قاميش سيراً على الأقدام قبيل الإفطار فأعد نحو عشر موائد مدها أهل الخير لإفطار الراغبين ، ولا يخلو باب مسجد من رجال يفرقون الطعام على الناس ، وفى شارعنا كنت أعد أربع موائد ، وفى قريتنا كان الناس يتنافسون فى الإطعام ، فأين ذهب ذلك كله ؟ إننى ألاحظ أن التغير إلى الأسوأ يتسارع إلينا ، وخير القلوب يقل والتقى يندر ، وكل ذلك فيما أحسب ناشىء عن ضعف التربية الدينية فى تنظيمنا الاجتماعى الراهن والتربية الدينية لا تقتصر على درس الدين فى المدرسة أو خطبة الخطيب فى المسجد يوم الجمعة ، بل هى تكون بالقدوة ، ففى الماضى كان رؤساء الناس من أهل البيوت الكريمة ، وكانت رياستهم للناس تربية وتهذيباً ، أما اليوم فقد انقلب الحال وأصبحت الرياسات والقيادات الاجتماعية والأموال بيد الأراذل الذين أصبحوا أكابر دون فضل ، ورؤساء دون فضيلة ، وأغنياء دون تعفف ، وسكان قصور لا يستحقون أن يكونوا خدماً فيها ، وركبوا سيارات مطهمة لا يصلحون أن يكونوا سائقيها ، فانقلب النظام وضاعت القدوة وفقد المجتمع رباط الشرف والإيمان الذى كان يحميه من التدهور والانحدار ، ومن أسف أن هذا قائم فى الكثير من بلاد الإسلام ، وهم يكثرون الحديث اليوم عن النقص فى مدرسى مادة التربية الدينية وأحب أن أقول هنا إن النقص ليس فى العدد إنما فى النوع ، لأن مدرس مادة الدين ينبغى أن يكون فى شخصه وسلوكه ـ بالإضافة إلى علمه ـ على مستوى الدين الذى يعلمه ، ولقد كنت أقرأ من أيام كتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٠ م ، فقرأت الخبر التالى يرويه القاضى أبو العلاء الواسطى : كان أبو عبيد مع عبد الله بن طاهر والى خراسان للمأمون أى أنه كان يعلم ويؤلف له ويخدمه بالعلم ، فبعث إليه أبو دلف يستهديه أبا عبيد شهرين ، فأنفذه إليه فأقام شهرين ، فلما أراد الانصراف وصله بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها ، وقال أنا فى جنب رجل لم يحوجنى إلى صلة غيره

(يريد عبد الله بن طاهر) فلما عاد إلى ابـن طاهر وصله بثلاثين ألف دينار فقال : أيها الأمير . . قـد قبلتها ولكن قـد أغنيتني بمعـروفك وبرك ، وقـد رأيت أن أشترى بها سلاحاً وخيـلاً وأوجه بها إلى الثغر ليكون الثـواب متوافراً على الأمير ، ففعل . فقلت فى نفسى : إن مجرد سيرة هذا الرجل تعلم الإنسان الدين .

ومن جميل مـذهب الإسلام فى الصيـام أن الله سبحانـه وتعالى جعلـه كفارة ومثوبة ، قال سبحانه وتعالى فى بعض آيات الحج :

﴿ وأتموا الحجَّ والعُمْرة لله فإن أُحْصِرتم فما اسْتيسر من الهدْى ولا تَحْلقُوا رءُوسكم حتىَّ يبلغَ الهدْىُ محِلَّهُ فمَن كان منكُم مَّريضاً أو به أذى من رَّأسـه ففِدْيـةٌ مِن صِيَـامٍ او صَـدقـةٍ أو نُسُـك فإذا أمِنتُم فمَن تمتع بالعمْرة إلى الحج فما اسْتيْسَرَ من الهدْيِ فمن لَّمْ يجدْ فصِيـاُم ثلاثة أيَّام فى الحج وسبعةٍ إذا رجعتمْ تلك عشرة كامِلةٌ ﴾ . [البقرة ٢/ ١٩٦] .

وهذه آية لـو قرأها جاهل بالإسلام ولكنـه مفتوح البصيرة لآمن به ، فنحن هنا فى مقام الحج وهو عبادة جليلة كما سنـرى ، والله سبحانه يخفف مؤنته علينا ، ويجد لنا المخـرج فى حالة المرض ، فعلينـا هنا الفـدية من صيام أو صـدقة أو نسك ، وعبادة الصيام هنا فدية وتكفير وهى فى مقام الصدقة ، فمن يعسر عليه هذا أو ذاك فعليه أن ينسك ، لأن النسك أو النسكة أو المنسك التزهد والتعبد ، وقد يكون النسك ذبح ذبيحـة وإطعام لحمها للفقراء تقـرباً إلى الله ، وكل هذه بركات وأفضال من الله على عباده ، وإذا كـان الحج عبادة وتطهراً فإن العبادات يغنى بعضهـا عن بعض ، وكلها خير على العبـاد ، فالصيـام والنسك خير على المخلوق ، والصـدقة خير على الفقير المحتـاج ، وليس هنا صك غفـران يشتريه الإنسان بالمال ويأخذ ثمنه القس ويـزعم له فى الصك أن الله قد غفر له ، بل فى كل ذلك أنت مـوكـول إلى ضميرك لايعرف سريـرتك إلا خـالقك ، ولقـد هب

مارتن لوثر محارباً صكوك الغفران وقال أنها شيء باطل ، ولكنه أجاز لطالب التوبة أن يؤدى مالاً للفقراء ، ولكنه اشترط أن يشهد القس على العطاء فكأنه لا يكل المؤمن إلى إيمانه ، ولا يترك الطريق مفتوحاً بين الخالق والمخلوق ، ولابد أن يكون القس شاهداً ، أما فى الإسلام فنحن مع الله فى كل حين ، ونحن مع قلوبنا أو ضمائرنا فى كل حال ، والإسلام دين قلوب ، والعبادات قوت القلوب كما قال أبو طالب المكى فى كتابه البديع الذى يحمل هذا الاسم .

واقرأ الآية التالية لترى كيف أن الصيام فدية وتوبة :

﴿ وماكانَ لمؤْمن أن يقْتُل مؤْمِناً إلا خطئًا ومن قَتل مؤمِناً خطئًا فتحرِيرُ رقبةٍ مؤمنة وديةٌ مسَلمةٌ إلى أهلِه إلا أن يصّدقُوا فإن كانَ من قومٍ عدو لكمْ وهُو مُؤمنٌ فتحريرُ رقبةٍ مُؤمنةٍ وإن كَان مِن قومٍ بينكُمْ وبيْنهُم مِيثاقٌ فدِيةٌ مسَلمةٌ إلى أهلِه وتحريرُ رقبةٍ مُؤمنةٍ فمن لَم يجدْ فصِيامُ شَهرينِ مُتتابِعين توبةً من الله وكان الله عليماً حكيماً ﴾ .

[النساء ٤/ ٩٢] .

فانظر إلى روعة تشريع الإسلام فى أمر القتل الخطأ ، وهنا نجد التوبات مقاولات ، فتحرير الرقبة المؤمنة توبة مع الدية المسلمة إلى أهل المقتول إلا إذا طابت نفوسهم وتركوا الدية لعجزهم عن أدائها مثلاً ، فيكون تنازل أهل القتيل عن حقهم صدقة يحتسبها الله لهم ، إن كان القتيل مؤمناً من قوم معادين للإسلام فيكفى هنا تحرير الرقبة ، ولا محل للدية هنا لأنهم أعداء يستقوون بها على المسلمين ، أما إذا كان من قوم بينهم وبين المسلمين موثق سلام وتعاهد ، فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، وفى هذه الحالة إذا كان القاتل عاجزاً عن الدية وعتق الرقبة فإن الجماعة الإسلامية تقوم عنه بأداء ذلك ، وقد فعله رسول الله ﷺ . ولكن لابد للقاتل من أن يكفر عن ذنبه بصيام شهرين متتابعين

تطهيراً لنفسه ، وتعبيراً عن توبته وندمه على ما وقع منه دون قصد ، أما إذا قتل المؤمن المؤمن قصداً فهنا يحق عليه القتل وجهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً أليماً .

فتأمل هذا التشريع الرفيع البالغ العدالة ، واذكر كم قتل المسلمون المسلمين عن قصد دون أن ينالهم فى ذلك ندم ، واذكر كم أزهق حكام المسلمين فى الماضى من أرواح الأبرياء ظلماً وعدواناً دون أن يشعروا فى ذلك بندم ، ولقد قرأت عن رجل من حكام صقلية الإسلامية يسمى إسحاق القفلة جلس بين الناس يفخر بأنه قتل من رعاياه المسلمين ألف إنسان فى يوم واحد ، فقال له أحد الصالحين ياأبا إبراهيم تكفيك نفس واحدة أى يكفى أن تقتل نفساً مؤمنة واحدة لتخلد فى النار ويحل عليك غضب الله ولعنته وعذاب عظيم أعده الله لك فما بالك بقتل ألف من المؤمنين .

والذين قضوا أعمارهم ـ مثلى ـ فى دراسة تاريخ الإسلام لا يتعجبون مما حل بنا من الفقر والظلم وسوء الحال ، لأننا منذ منتصف خلافة عثمان ونحن نقتل بعضنا بعضاً ظلماً وعدواناً ، وليس فى التاريخ تشريع حصن النفس والمال بقدر مافعل الإسلام ، وما هانت النفوس وأموال الناس على قوم كما هانت على أهل دول الإسلام الماضية ، وخذ جزءاً واحداً من تاريخ عام مثل كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير تحس وأنت تقرؤه أن الدم يسيل منه سيلاً حتى الكبراء والعظماء من أولى الأمر فينا كان الكثيرون منهم يستهينون بدماء الناس إلى درجة يتعجب معها الإنسان كيف صدق هؤلاء الناس أنهم مؤمنون وعلى أيديهم كل هذه الدماء ، ومازال المسلمون إلى يومنا هذا يفعلون هذا حتى أساء الناس الظن بالإسلام بجرائم أهله ، وما أبعد هؤلاء جميعاً عن الإسلام ، وإننى لأقرأ كلام المطالبين بتطبيق الشريعة كاملة فأقول حباً وكرامة ، شرع الله وهو واجب التنفيذ ولكن اضمنوا لى أن تقطع أيدى اللصوص الكبار قبل الصغار واضمنوا لى قطع

رقبة الكبير المجترىء على دماء الناس قبل أن يسقط السيف على رقبة القاتل الفقير التعيس ، وقولوا لى أيها الناس من يقطع يد مَن ؟ ومن يقطع رقبة مَن ؟ ونحن نطالب بتطبيق حد الخمر وهو حق ، ولكن هذه صفحات تاريخنا وسادتنا فى الماضى غارقون فى الخمر بل كانوا يثيبون الشعراء الذين يقولون القصائد فى مدح الخمر والتفنن فى ذلك ، ولا أذكر من خلفاء المسلمين من بداية الدولة الأموية عدا عمر بن عبد العزيز واحداً لم يقارف كل المحرمات ، ثم يتعجبون من سوء حال أمم الإسلام وانقطاع بركة الله عنهم ، إن عقابنا لابد أن يكون أشد من عقاب الكفار الذين لم تصلهم رسالة الإسلام لأن جهلهم بالإسلام قد يشفع لهم ، أما نحن فما عذرنا وعندنا الكتاب وفينا رسول الله ؟ وقد قال الله سبحانه ذلك فى الآية السابعة من سورة الحجرات :

﴿ واعْلمُوا أن فيكمْ رسُولَ الله لـو يُطيعُكُم فى كثِيرٍ من الأمْـر لعنِتمْ ولكنَّ الله حَبَّبَ إليكمُ الإيمَان وزَيَّنه فى قُلُوبكم وكَرَّه إليكُمُ الكُفرَ والفسُوقَ والعِصْيان أولئِك هُم الراشِدُون . فضلاً من الله ونِعْمةً والله علِيمٌ حكِيمٌ ﴾ [الحجرات ٤٩/ ٧ـ٨] .

وما أكثر مانسى أن فينا رسول الله : فكان ماترانا فيه من خذلان . نسأل الله سبحانه ألا يجعلنا من أهل الخذلان .

لقد أمرنا الله بطاعته وطاعة الرسول أكثر من مرة فى كتابه العزيز ولكنه قال مرة واحدة **﴿ يَاَ يُّهَا الذِين آمنُوا . أطِيعُوا الله وأطِيعوا الرسُول وأولِى الأمرِ منكُمْ ﴾** [النساء ٤/ ٥٩] والعلماء مختلفون فى المراد بأولى الأمر منكم ، أهم الحكام ، أم العلماء ، أم الحكماء ، وأهل العقل والرشاد ؟ ولكننا فسرناها اعتسافاً بأن المراد هم الحكام .

فأما الله سبحانه فعصيناه . وأما الرسول فعصيناه . ولكننا أطعنا الحكام

رهباً وخوفاً وذلاً ونفاقاً لأن الله سبحانه يمهل والرسول يصفح ويستغفر ، وأما الحاكم فيعاقب ، ونحن قوم نخاف ولا « نختشى » كما يقولون ! وبعد ذلك كله فنحن نطمع فى توفيق الله . فقل لى بربك من أين يجىء التوفيق للعصاة ؟! .

ولقد عرفنا حكمة الله سبحانه فى تحريم الطعام فى الصيام ، ولكن لماذا حرم الله شرب الماء فى الصيام ؟ هل الماء ترف يختص به الأغنياء دون الفقراء ؟

الذى نعرفه جميعاً أن الماء للشرب يتساوى فيه كل الناس . فإذا وجد الماء شرب الجميع ، وإذا لم يوجد عطشوا جميعاً .

فلماذا إذن أمرنا الله ورسوله بألا نشرب فى الصيام ؟ لقد طالما فكرت فى هذا الموضوع .

حتى جاءنى الجواب وأنا فى زيارة لجمهورية مالى ومالى جمهورية إسلامية إفريقية صحراوية حظها من الماء قليل ، فخرجنا مرة فى سيارة نزور مراكز العمران فى الصحراء ، وفى الطريق رأينا عظاماً كثيرة لناس هلكوا عطشاً ، وفى موضع من الطريق رأينا أربع أبقار قعوداً دون حركة ، وسألت فى أمرها فقيل لى إنها تموت عطشاً ، وقلت : إذن نسقيها ، فقيل لى : فات الأوان . إن الحيوان إذا اشتد به العطش لم يشك لأن الله لم يمنحه نعمة الكلام ، فإذا بلغ به العطش درجة معينة جلس كما ترى وأخذ يحتضر فإذا تداركناه بالماء فربما شرب وانتعش ، ولكن تجىء عليه فترة تجف فيها كبده وطحاله وتتصلب كليتاه ، وهنا يرقد كما ترى ، ويجود بروحه فى صمت ، ولا يعلم إلا الله ما يعانى . وحاولنا تقديم الماء للبقرات المسكينات فلم تلتفت إلينا لأنها كانت قد دخلت دور النزع .

وعدت إلى السيارة وإن دموعى لتنهل حزناً على تلك التعيسات .

وفجأة وجدت نفسى أقول : لهذا أمرنا الله بالصيام عن الماء .

إن الله يعلم أن فى الأرض شعوباً أرضها ضنينة بالماء ، هناك يعانى الناس من العطش ويموتون جفافاً ، هناك تقشعر الأرض ويصوح النبات ، هناك تتعذب الحيوانات وهى أخواتنا وفى ذمتنا ، وتموت صامتة ولا يعلم إلا الله وحده ما تعانى .

لهذا أمرنا الله بالصوم عن الماء حتى نشعر بآلام إخواننا من البشر والحيوان ، ومن المعروف أن الإنسان أثناء الصيام يعانى من العطش أكثر مما يعانى من الجوع وحكمة الله فى منع الماء تعدل حكمته فى منع الطعام .

وأنت ترى أننا نعيش فى زمان تعانى فيه شعوب كثيرة من أهل الأرض من نقص الماء ، فنحن مقبلون على فترة جفاف طويلة ستهلك فيها شعوب ، وبالفعل يهلك تحت أبصارنا ألوف من الحيوانات ومن البشر ـ وفيهم مسلمون كثيرون جداً ، وفى العالم اليوم معاهد تدرس مشكلة الجفاف وتبحث لها عن الحلول وفى المؤتمر الإسلامى الثالث الذى عقد فى الطائف عرضوا علينا مشكلة أهل الساحل الأفريقى وما تعانيه من الجفاف ، والمراد بالساحل هنا ساحل الصحراء الأفريقية الكبرى ، وهى بحر الرمال ، ولهذا البحر ساحلان : ساحل يمر بالثلث الجنوبى من موريتانيا ومالى وتشاد والسودان النيلى ، وساحل فى الشمال جنوبى تونس ، أقول عرضوا علينا صورة هذه الشعوب العزيزة وما تعانى من جفاف ، واقترحوا معونة مالية لها ، فتبرعت السعودية وبعض دول الخليج ببضعة ملايين للبحث عن الآبار وإنشاء مؤسسات المياه وتحليتها ، بارك الله فى أولئك الإخوة الأعزة الذين تبرعوا وأعانوا ، فهذا دليل إيمان عظيم .

وفى الكثير جداً من بلاد العالم المتقدم معاهد كاملة للهيدرولوجيا وهو علم المياه ، وفى جامعاتنا كلام كثير عن علم المياه ، ولكنه كالعادة كلام يخلو من العلم والإيمان جميعاً .

وعلم الهيدرولوجيا هو الذى حل لنا مسائل الماء وإيصالها إلى المدن والبيوت وتنقيتها وتحليتها ، كل ذلك صنعوه ويصنعونه ، أما نحن وفينا نزل القرآن وتنبيه الله سبحانه على مشكلة الهيدرولوجيا وماهى جديرة به من عناية ، ولكننا على العادة لا نتفكر ولا نتدبر ، وهل هناك أعجب من ناس أمرهم الله بالصيام شهراً ليتقللوا من الطعام وتصح أبدانهم فلا يكون منهم إلا أن يجعلوه شهر الطعام والتخمة والإسراف ؟ والحكومات نفسها تعين الناس على هذا الباطل ، كأن أحداً من رجالها لا يعقل ولا يفكر فتضاعف للناس كميات الطعام فى شهر الصيام ! .

***